

التوبة من الطريقة التيجانية

- العلامة تقي الدين الهلالي¹

خليلي عوجا بي إلى كلّ ندوة
ولا تقربا بي مجلس الرأي إنه
على مجمع فيه كتاب إلهنا
لدى ثلة قد نور الله قلبهم
فصانوا كتاب الله جلّ جلاله
وردّوا اقتراء الخلف من ضلّ سعيهم
وأصلوهم حرب الفرنج بهمة
إليهم أجوب البرّ والبحر آوياً
وأقبس من أنوار علم وسنة
وأبعد عن أهل البدائع والخراب
وليس مرادي غربة البعد والنوى
ولما أبان الله لي نور دينه
أولئك قوم بدّلوا الدين بالردى
وأبغضني الأقوام حين نبذتهم
وقد قلبوا ظهر المجن وخشنت
وقد زعموا هجري وشتي قرية

بها قول خير الرسل يروى بقوة
ضلال يحط لتابعيه بهوة
يفسّر تفسيراً بعلم وحكمة
وخصّهم بالهدي أفضل نعمة
عن اللغو والتحرّيف أسوأ بدعة
وقد فرقوا من شؤمهم خير شرعة
كسيف صقيل في مضاء ولمعة
لأنظر من فازوا بنور ونظرة
وذلك قصدي في اغترابي وهجري
وأدرك روحاً من عنائي وغربتي
ولكنها في الدين أعظم كربة
وأنقذني من طرق أصحاب خرقة
وقد مرقوا من هديه شرّ مرقعة
وملت إلى قفو الكتاب وسنة
صدورهم لي واستعدوا لمحتي
وكل جليس لي سيردى بسرعة

¹ كاتب وصفي وشاعر كبير وله تلاميذ في بلادنا، وهذه القصيدة في صفة رحلته من المغرب إلى الهند.

وقد جزموا أني أموت على الردى
أما لي حمق تضحك الثاقل التي
نبذتهم نبذ النوى وتركهم
وما لي وليٌّ أو رفيقٌ مصاحبٌ
عليه اعتمادي لا على أحد سواه
وما أطلب المال الذي هو زائل
سفرت إلى مصر لأخبر خبرها
ومن قبل قد أخبرت أن في ربوعها
وصلت فلم ألق سوى أهل بدعة
سمعت بها الإلحاد يعلن جهرة
رأيت بها الأوثان تعبد جهرة
ويدعون دون الله من لا يجيبهم
لهم جعلوا قسماً بمال ولدة
حشا ثلثة مستضعفين رأيتم
وهم صبر مستمسكون بدينهم
س وما صدهم إيذاؤهم عن جهادهم
ت أقمت بها عاماً إلى الله داعياً
يعدون بالآلاف في الزيرمون كله
ومن بعد ذا سافرت للحج راجياً
فأتككته والحمد لله سائلاً

وأخلد في النيران من أجل رجعتي
بواحد سارت ركاب المنية
وهاجرت كي أحظى بسؤلي ومنيتي
ولا ناصر إلا إله البرية
فهو قدير أن يجود ببغيتي
سوى بلغة لا بد منها خلعتي
وأنظر هل فيها شفاء لعلتي
رجالاً لنصر الدين أصحاب شدة
وشرك وإلحاد وشك وردة
بجامعة للشر مع كل فتنة
قبوراً عظماً ناخرات أجنت
وهم عن دعاء القوم في عظم غفلة
فلا عاش من قد ظنهم أهل ملة
تسومهم الأعداء سوء الأذية
ويدعون ما استطاعوا بيضا نقية
لأنهم أهل النفوس الأبية
فأرشد رب الناس قوماً بدعوتي
م أهل إخلاص وأهل فتوة
قبولاً من الله الكريم لحجتي
من الله يهديني سواء المحجة

وكنا سمعنا أن بالهند فرقة على السنة الغراء بصدق وحجة
فقلت عسى منشودتي عندهم ترى وهزتي الأثواق أية هزة
بلغت فألفت المخبر صادقاً وشاهدت سنوات تجلت بعزة
قد اخترت دهلي للإقامة إنها بلاد علوم الدين فيها تسنت
وقد شفيت نفسي وزال سقامها غداة رأيت عيني مساجد سنة
فلا تسمعن فيها سوى "قال ربنا" وقال رسول الله "خير البرية
لقد مثلوا خير القرون لناظر بقول وفعل واجتهاد ونية
إمامهم خير الأئمة كلهم عليه من الرحمن أركى تحية